الشاعر شفيق حبيب ، وديوان "شآبيب"

الناقد / نبيل عودة

بعد انقطاع يبدو أنه طالَ كثيرًا، يُطلُّ علينا الشاعر شفيق حبيب بديوان جديد يحمل عنوان "شآبيب" والتي يفسرها "المنجد" بأنها (أول ما يظهر من الحسن) ولعله ليس الدهن في العتاقي فقط، إنما حسن النظم أيضًا، فنحن نعتقد أن "الحُسْن الأدبي" ظهَرَ في شعر شفيق قبل أن يرسو على شاطئ السبعين واليوم يُضيف لحسنه حسنًا، يقول عن سبعينيته:

على شاطئ السبعينَ حطتْ مراكبي
ونـاءَت بأعباءِ الرزايا مناكبي

ولكنه يعلن هويته بصوت مجلجل:

أحبُّ فلسطيني وأهلي وأرضَها
إذا مسَّهم ضَرٌّ تنادت كتائبي

نعرف أن الشاعرَ كلماته، وما أشدَّ بأسَ الكلمة حين تصدر من عمق الإنسان. شفيق حبيب مثل سائر شعراء فلسطين، لا

يستطيع العيش بدون موقف، وبدون الخوض في الصراع السياسي، أيًا كان نوعه. فها هو لا يوفر نقده من الواقع المُعيب، يقول:

وأصبح لي عَرْشانِ يا عارَ عارنا
وخيرُ بني أمّي طعامُ النواعبِ

وكيف لا يغضب وهو القائل في نفس القصيدة :

أنا شاعرٌ تغذوهُ آمالُ أمَّةٍ
وآلامُها، والحرفُ ثرُّ المواهبِ

وأكاد أقول إنها أكثر من قصيدة، هي بيانٌ إنسانيٌّ لشاعرٍ فلسطينيّ، يرى ما يؤلم، ولكنه متفائل بحزن وألم.

للشاعر شفيق حبيب ١٥ ديوانًا شعريًا مع "شآبيب" وضَعَتهُ على خارطة الأدب الفلسطيني، صوتًا جهورًا واضحًا، تتميز قصائده بالوضوح والتكثيف، ويبدو لي أيضًا أن جيل السبعين هو محطة للتفكير بالطريق الصعبة التي قطعناها. فها هو يثبت رؤيته الأساسية على الغلاف الأخير:

لعنَ الله السياسة...

وثعابينَ السياسة...

لعن اللهُ أساطينَ السياسة

وجهُهُم ينضحُ لؤمًا وخساسه

ملأوا الدين شعاراتٍ

صُراخا... وحماسه

...

حقًا كلامٌ مباشر، أشبه ببيان سياسيّ ولكنها خيرُ تجربةِ العقود السبعة. هنا قد نختلف في التقييم، ولكننا لا نختلف أن ما تبقى لا يرقى للمستوى الذي نستحقه.

الصوت الوطني لشفيق حبيب يكاد يجلجل حتى حين يكتب غزلاً:

أحْـــزانُ عَينَيـــكِ أَمْ أحـــزانُ أوطـــاني

تنهَـــلُّ بُركـــانَ وَجْـــدٍ فـــوقَ بُركـــانِ ؟؟

(من قصيدة أحزان وأحزان)

وفي قصيدته التي تشع بالسخرية المرة : أصبحتْ لي دولتان" يُعلنها بألمٍ سوداويٍّ ساخر :

أسمعي أيتها الدنيا !!

أهازيجَ البيانْ ...

أصبحتْ لي دولتان...

دولةٌ :

تـأكلُ رملَ البحرِ

تحيا في تلافيفِ الرِّهانْ

غابَ عنها الماءُ.. والنورُ..

وأفراحُ المكانْ.

دولةٌ أخرى

تجيدُ القفزَ من حِضْنٍ لحِضْنٍ

فوق كفيْ بهلوانْ ...

القصيدة تكاد تكون رثاءً لحلمٍ على شفا الضياع لعلّ الضميرَ يستيقظ :

هاكمو أموالَ قارونَ

وأعطونا ترابَ القدسِ تِبرًا

وسلامًا.. وأمانْ..

يا سواقينا ! ارجعي نهرًا

وقلبًا واحدًا..

روحًا ... دِماءً.. ولِسانْ ...

هذه لمحة سريعة عن ديوان شآبيب، ديوان جيل السبعين، ولكن السنوات لا تضعف إيمانَ الشاعر بالكلمة، بل نراه يزدادُ حكمة، وفي الوقت نفسه يزداد قلقه، فنجده في قصيدة "العنه"، يلعن السياسة، ويجعلها أشبه بالموقف الفكري على الغلاف الأخير.

صحيفة المساء

موقع : كتاب من أجل الحريّة : ٩-٤-٢٠١١

موقع : الفينيق : ٩-٤-٢٠١١